

الصراع الاستراتيجي بين المملكة وحزب الله يتعاظم... فهل تنقطع شعرة معاوية؟

هتاف دهام

يتعاظم الصراع الاستراتيجي بين المملكة العربية السعودية وحزب الله، فسياسة الطرفين تجاه قضايا المنطقة أثبتت أنهما على طرفي نقيض في المعادلة الإقليمية. سُمي الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله في شهر أيلول الماضي الأشياء بأسمائها، ومن دون قفازات، "أن السعودية هي المسؤولة عن القتل في منطقتنا، وهي التي قتلنا في حرب تموز".

لم تترك المملكة باباً يمكن لحزب الله أن يدخل منه في محاولة لإقامة علاقات جيدة معها إلا وأوصدته بسياساتها الإرهابية والعدوانية حياله وحيال الشيعيين السوري واليميني وحيال الجمهورية الإسلامية، وبخاصة بعد قضية الحجاج الإيرانيين الذين فقدوا في فاجعة منى. لا مجال للتغافل عند المقاومة عن تمويل آل سعود للإرهاب في سورية، وعن غزو البحرين واليمن، والقبول والترحيب بانضمام كيان العدو «الإسرائيلي» في شهر تموز الماضي إلى التحالف العربي الذي تقوده ضد اليمن والذي تمثل بقيام طائرة «إسرائيلية» مطليبة بالوان سلاح الجو السعودي بإطلاق قنبلة نيوترونية على جبل نغم في اليمن، بحسب موقع «فيترانز توداي» الأميركي.

ويبدو أن الصداقة والشراكة التي تجمع «إسرائيل» و«السعودية»، وفق ما أكده نائب رئيس الوساد «الإسرائيلي» السابق مناحيم حناحيف نقوت في مقابلة مع القناة «الإسرائيلية» الثانية، تعود عملياً إلى ستينيات القرن الماضي، حيث شارك الكيان الصهيوني بشكل مؤمّد آل سعود في حربه ضد جمال عبد الناصر في اليمن، وكانت «إسرائيل» تزود السعودية بالسلاح، كما كانت تفعل أيضاً مع إيران زمن الشاه، وحققّت من وراء ذلك أرباحاً خيالية ساعدتها على دعم اقتصادها.

يضع حزب الله ملاحظات جوهرية تجاه السياسات السعودية تجاه المقاومة، وبخاصة بعد الحديث لقاءات سعودية - «إسرائيلية» سرية بين ضابط الاستخبارات السعودي السابق أنور ماجد عشقي والمدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية دودي غولد، للبحث في جملة قضايا إقليمية على رأسها كيفية محاصرة إيران، واللقاء الذي وصف به «التاريخي» بين تركي الفيصل وديبلوماسيين «إسرائيليين» خلال مؤتمر أمني انعقد في موناكو، حيث تلقى خلاله الفيصل دعوة من عضو الكنيست «الإسرائيلي» مانير شطريت لإلقاء خطاب أمام الكنيست في تل أبيب.

تمزّ العلاقة بين السعودية وحزب الله في أسوأ مراحلها. صحيح أنها شهدت مداً وجزراً على مدى السنوات العشر الماضية وما سبقها، لكنها لم تصل إلى حدّ الطلاق والعداء الذي وصلت إليه اليوم، برغم كل الاتهامات المتبادلة. قطعت حارة حريك شعرة معاوية مع الرياض، هناك قطعة كاملة وعدم وجود قنوات اتصال سواء كانت دبلوماسية أو غير دبلوماسية منذ أكثر من سنتين ولن تتحسن العلاقة سواء مع حزب الله أو مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية من دون تحوّل سعودي في الملفات الكبرى وفي طبيعتها الملف السوري.



طيران إسرائيلي فوق اليمن

وهنا بدأ عهد جديد بين حزب الله والسعودية عنوانه المساندة عبر الرئيس الراحل الحريري، فحصلت لقاءات وفتحت أبواب مكاتب حزب الله في حارة حريك للحريري والسعودية عبر سفيرها، واختتمت هذه المرحلة بتفاهم نيسان عام 1996. بدأ حزب الله عقب ذلك مرحلة ثالثة اصطاح على تسميتها بمرحلة «الرؤى المستقبلية»، فتح أوراقه السياسية من دون العسكرية، وخلال هذه الفترة جرت اتصالات بين حزب الله والسعودية التي وجهت يومذاك دعوات لمسؤولين وقياديين من الحزب للقيام بزيارتها إلى العمرة والحج، لتنتهي تلك المرحلة في ذكرى تحرير الجنوب من العدو الإسرائيلي عام 2000، وتبدأ مرحلة جديدة مع لجوء المملكة إلى سياسة الضغط بشكل مقنع على حزب الله لتجريده من سلاحه، ليشدّ الضغط أكثر فأكثر في عام 2003 وعام 2004 مع صدور القرار 1559 الذي يعتبر الرئيس الراحل للحكومة مكوّناً رئيسياً وأساسياً في إنتاج هذا القرار. انتهت تلك الحقبة باغتيال الحريري في وسط بيروت حيث تفجّرت من جديد كل الخصومات المجدّدة بين السعودية والمقاومة، بمسارعة الرياض إلى اتهام حزب الله وسورية باغتياله، ودعمها الشديد لإنشاء المحكمة الدولية الخاصة بالحريري، وتحصيل المقاومة في عدوان تموز 2006 «المسؤولية الكاملة» عن تصرفاتها التي اعتبرتها غير مسؤولة، لتصل العلاقة بينهما إلى أسوأ مراحلها خلافاً مع الماضي، وتستمرّ بالتدهور حتى عام 2008 مع تغطية آل سعود لمحاولة حكومة الرئيس فؤاد السنيورة نزع سلاح الإشارة بإصدارها قراراً 5 أيار الشهيرين القاضيين بإقالة رئيس جهاز أمن المطار العميد وفيق شقير وباعتبار شبكة حزب الله غير شرعية، فكانت النتائج عكسية حيث كبحّت أحداث السابع من أيار العدوانية السعودية، لتدخل العلاقة بين الطرفين بعد اتفاق الدوحة الذي أوصل الرئيس ميشال سليمان إلى رئاسة الجمهورية والرئيس سعد الحريري إلى رئاسة الحكومة، في شبه هدنة لم تدم أكثر من سنة، لتعود وتفجّر في عام 2010 مع إطاحة حزب الله وحلفائه من الرابطة بحكومة الحريري، ومنذ ذلك الحين والأمر تأخذ منحى تنازلياً وصل إلى حدّ القطعية مع انخراط مقاومي حزب الله إلى جانب الجيش السوري في محاربة التنظيمات المسلحة التي تدعمها وتمولها وتسليحها السعودية، بالتعاون مع الولايات المتحدة وعضد من الدول الأوروبية.

ليس في الأفق أيّ إشارة أو دلالة يمكن للجوء إليها لمعالجة الوضع أو ترتيبه، ما يقود إلى القول أن حزب الله لن يعطي السعودية في لبنان شيئاً تحلم به، وهو قادر على منعه. فمملكة آل سعود لم توفر ولا تزال، فرصة للانتقام من مقاتلة حزب الله للإرهابيين ولـ«إسرائيل» إلا وقامت بها محلياً وخارجياً وفي المحافل الدولية، إلى حدّ الانخراط في حرب مفتوحة ضده: فأخفاقات المملكة في سورية واليمن وراء هذا التصعيد، والسعودية في لحظات الإخفاق لا تتراجع إنما تندفع إلى مغامرات مجنونة.

لا نقطة التقاء واحدة بين حزب الله والسعودية، فحجم الإهتزاز الراهن في العلاقة بين المقاومة والرياض لم يشهد تاريخ العلاقة بين الطرفين منذ عام 1992، حيث تقلبت منذ ذلك الحين بين قرّ وكفر. لكن الطابع العام الذي حكم هذه العلاقة هو الجفاف والحذر المتبادل من الطرفين. ففي عام 1993 كانت العلاقة بين الضاحية الجنوبية والمملكة سيئة وعدائية، خاصة أن الرئيس الراحل رفيق الحريري الابن المدلل للأسرة المالكة كان يبغى عندما أطلق ربيع لبنان في ذلك العام بإيعاز سعودي التخلص من سلاح حزب الله لتنتهي هذه المرحلة في حرب تموز 1993 عندما أتى الحريري بقرار من المجلس الأعلى للدفاع بإرسال الجيش إلى الجنوب ساهم فيه الرئيس الراحل الباس الهراوي، ويعلم من نائب الرئيس السوري السابق عبد الحلبي خدام، وكاد القرار أن يمرّ لولا الموقف الصلب الذي اتخذته يومذاك قائد الجيش العماد أميل لحود الذي خيّر هؤلاء بين التراجع عن القرار أو تقديم استقالته.

التجارية للمنتسبين والمؤيدين لحزب الله وفرضت قيوداً على معاملاتهم التجارية والمالية، وصولاً إلى إعلان وزارة داخليتها قائمة تضمّ أسماء 12 شخصاً وشركة، قالت إنها لقياديين ومسؤولين من حزب الله في قوائم الإرهابيين والداعمين للإرهاب، وحجبت قناة «المنار» الداعمة للقضية الفلسطينية عن قمر «عربسات»، ودعمت ملاحقة حزب الله في المحافل الدولية. وفجأة وبسحر سحر أعلنت المملكة عن تشكيل «تحالف سني» لمحاربة الإرهاب، من دون أن تحدد معنى الإرهاب، وبمشاركة دول من دون أن يكون لها علم أو رأي أو قرار، بهدف تعميق الصدع المذهبي مع انقضاء وجود أية دولة «شيعية» أو «علوية» ضمن هذا التحالف، للمشاغبة على مسار الحل السياسي الذي انطلق مع فيينا بما يخدم سياساتها، لأنها تريد صرف الانتظار عما يلحق بها من هزائم في سورية واليمن، حيث لم تستطع تحقيق أيّة إنجازات ميدانية تذكر، برغم كل الدعم المالي الذي قدّمته وحلفاؤها للجماعات المسلحة.

بات التعاطي بينهما من النذر إلى الندى. رفعت الرياض وتيرة عدائيتها لحزب الله وملاحقته، عندما وصلت إلى حائط مسدود في حربها ضد اليمن وسورية، وربما تكون نجاحات المقاومة في سورية السبب الأساس والإشكال الرئيس بين الطرفين، بخاصة أنها حملت حزب الله جزءاً من المسؤولية الأساسية في صعود الرئيس السوري بشار الأسد، كما أنها اتهمتته بأنه وراء قوة الحوثيين وصلابتهم في اليمن، فكانت الهجمة الإعلامية عليه من باب مساندته الإعلامية للثورة البحرينية واتهامه بدعم الحوثيين. شنت السعودية حرباً في كل الاتجاهات ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ توقيع الاتفاق النووي، وضد حزب الله في أكثر من جبهة، في سورية منذ أن دخلت عناصره في معركة دفاعية ضد الإرهابيين التكفيريين في القلمون والقنيسر، ولا تنفك المملكة تحرض على المقاومة. اعتبر مجلس التعاون الخليجي حزب الله «منظمة إرهابية»، وشدت الرياض أولى العقوبات الخليجية ضد النشاطات

«بيمارستان النوري»... بُني خصيصاً للفقراء وشاهد على فنِّ معماريّ يرقى إلى عهد السلاجقة



لورا محمود

يقع «بيمارستان النوري» في قلب مدينة دمشق، ويعدّ واحداً من ثلاثة بيمارستانات اشتهرت بها المدينة. بناه الملك العادل نور الدين زنكي، وخصّصه كمشفى للمساكين والفقراء، ثمّ تحوّل ليصبح واحداً من أشهر المشافي ومدارس الطب والصيدلة في البلاد. وقد تعلم فيه كبار الأطباء مثل ابن سينا والزهرابي.

يقع البيمارستان في قلب مدينة دمشق القديمة في منطقة «الحريقة»، جنوب غرب الجامع الأموي، شرق سوق الحميدية. ويعتبر «بيمارستان النوري» من أهم المباني التاريخية في مدينة دمشق، وهو أحد البيمارستانات التي شيدت فيها: الأول كان يعرف باسم بيمارستان العاقي، ثمّ سمي «بعتيق»، والآخر بني في منطقة الصالحية واسمه «بيمارستان القمري» وبناه الملك العادل نور الدين محمود زنكي عام 1154 ميلادياً، واشترط في وقفه أن يكون مخصصاً للفقراء والمساكين، وفيه عدد كبير من الكتب الطبية وكان يتسع لآلاف وثلاثمئة سرير، وقد كان الأطباء يوفدون إليه من كل البلاد، ولم يكن ممنوعاً على الأغنياء زيارته، وكانت بعض الأدوية لا تتوفر إلا فيه، ومن جاء إليه لا يُمنع من شرايه، كما من كان.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن المسلمين قد أسروا أحد الملوك الفرنج، وعند استشارة نور الدين مجلس أعيانه، تم الاتفاق على أن يفك أسر هذا الملك مقابل فدية مالية تصرف في بناء البيمارستان ليكون مستشفى يقدم الدواء والعلاج.

كان «بيمارستان النوري» يؤدي وظيفة هامة إضافة إلى معالجة المرضى، وتتمثل هذه الوظيفة بتدريس الطلاب وإعدادهم ليكونوا أطباء، وقد عمل في الطبابة فيه أشهر الأطباء العرب، منهم ابن سينا والزهرابي. وكان المرضى يتلقون الدواء والغذاء والكساء مجاناً حتى يتمثلوا إلى الشفاء.

تعرض البيمارستان خلال حقبة تاريخية طويلة إلى تغييرات وتعديلات شتى. فلقد قام الطبيب بدر الدين ابن قاضي بعلبك



(والذي كان رئيساً للأطباء والجراحين) عام 1239 ميلادياً بتوسيع البيمارستان وإضافة فسحة سماوية ثانية مع خمس غرف.

وعام 1361 ميلادياً، تعرّض البيمارستان للتدمير على يد تيمورلنك، وبعد رجليه عاد لاستقبال المرضى، إنما على نطاق ضيق. وقد رُمّت أجزاء منه في الفترة المملوكية أيام الملك الظاهر بيبرس، واستمر البيمارستان على وضعه هذا حتى أوائل القرن الرابع عشر، وانتهى عصره بعد بناء المستشفى الجديد في دمشق، وغادره أطباء العشرون إلى الأبد.

تحول البيمارستان عام 1898 ميلادياً إلى مدرسة للبنات في عهد السلطان عبد الحميد، ثم إلى مدرسة تجارية، حتى رُمّ أخيراً عام 1976 وأصبح متحفاً للطب والعلوم عند العرب.

يعتبر المدخل الرئيس للبيمارستان الأثر الأكثر فراءً في عناصر الواجهات الخارجية، إذ يفتح بالواجهة الغربية، له باب ذو مصراعين من الخشب، مصفحان بالحناس، ومزخرفان بالمسامير النحاسية الموزعة هندسياً.

تلو الباب زخارف جصية جميلة، صممت من تسعة دمايم من المقرنصات التي تعتمد على شكل الورقة المجوّفة؟، وهذا النوع من التشكيل فن جديد في سورية أتى به السلاجقة، كما أن تجويف البوابة فن جديد أيضاً، إذ تشاهد الأقواس المولدة من سبعة فصوص، كما تتكرر الأقواس الحدودية لسلسلة البوائك الصمّ مرتين في الداخل ضمن الإنحناءات ويتخلل تلك المحاريب الصمّ عمدة جدارية تنفرع من أعلاها على شكل شجرة النخيل.

وتحمل الجدران أشرطة كتابية تشير إلى أعمال الإصلاح التي تمت في العصر المملوكي، وسفقت بقية عالية تغطيها المقرنصات من الداخل والخارج وتعتبر هذه الفبة مع قبة تربة نور الدين القريبة من البيمارستان مثالين فريدين في العمارة السورية.

الإيوان الجنوبي يتميز بكسوته الرخامية وبحرابه الرخامي الرائع المسطح والمزخرف الذي يعلوه عقد من الرخام الملون محمول على عمودين دمجمين يعلوهما تاجان كورنثيان، وتحمل

الكسوة الرخامية شكل الزنقة. ويعتبر الإيوان الشرقي أكبر أواوين البيمارستان وكان مخصصاً لجلوس الأطباء واللقاءات المحاضرات. أجريت أعمال ترميم واسعة على البيمارستان أواخر السبعينات من القرن الماضي، وتحوّل بعدها إلى متحف للطب والعلوم عند العرب، وضّمّ المكتبات والمكتشفات التي تمت في مجال الأدوات المستخدمة في التطبيب والصيدلة والفيزياء والرياضيات لدى العرب والمسلمين.

وأخيراً، ونتيجة لأعمال الأسفار الأثرية التي أجرتها المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية في الباحة الرئيسية لـ«بيمارستان النوري» في دمشق، وفي إطار قرار إعادة ترميم الباحة الرئيسية وإعادتها إلى شكلها القديم، اكتشفت عدّة مواقع أثرية لم تكن مصادر مديرية الآثار، الشبيكات المائية المتعاقبة تاريخياً التي كانت تزود البحيرة المركزية للباحة بالمياه، وجدار كبير بعرض حوالي مترين من المحتمل عودته إلى الفترة السلجوقية، وهو ما يعطيه أهمية أثرية كبيرة بالنسبة إلى دراسة المخطط المدني المعماري للمدينة القديمة، حيث يتوقع أن يكون «بيمارستان النوري» الذي بني في مطلع النصف الثاني من القرن الثاني عشر من قبل نور الدين زنكي قد قام فوق هذا الجدار الذي تراكفت البنية الأثرية المحيطة به مع طبقات أثرية تعود إلى الفترة البيزنطية - الرومانية، والذي سبق العثور فيها على عدة قطع نقدية تعود إلى هذه الفترة. إلى جانب عدد من المكتشفات الأخرى التي تتمتع بأهمية استثنائية لمعرفة المزيد من التفاصيل عن البيمارستان.

وقد عملت إدارة متحف الطب والعلوم (البيمارستان) على تطويره من خلال إضافة بعض المكتشفات إلى قامته الأربع، وكذلك إضافة مشاهد تعبيرية جديدة، وهي: مشهد التعليم الطبي في البيمارستان في الإيوان الشرقي الكبير، ومشهد الفحص السريري في الطب العربي في قاعة الطب، ومشهد الاستشارة الطبية من المعاينة إلى وصف الدواء في قاعة الصيدلة.